الـفـصـل الـعـاشـر

"مـحـمـد نـجـيـب" والـثـورة

www.anwarsadat.org

إشاعات

سئلت من كثير من المواطنين المصريين لماذا لا تتكلم عن "محمد نجيب" بصـــراحة, وتروى لنا قصته كلها مع الثورة؟!

والواقع أن كل أصحاب الخطابات التى وصلتنى حول هذا الموضوع كانوا على حق.. فليس من المنطق قطعا أن أتحدث عن موقف مجلس قيادة الثورة من ساسة الماضى وأحزاب الماضى ثم أغفل قصة نجيب معنا.. ومضيت مع خواطرى.. ثم وجدتنى فى حيرة.

كيف أبدأ القصة؟!

ثم هل هذا الكلام فى موضوع انتهينا منه؟!

وعدت أتطلع إلى الخطابات المتناثرة على مكتبى.. إن أصحابها ينتظـــرون الآن مـــا سوف أقوله لهم عن اللواء "نجيب", ولابد أنهم وكل الشعب يريد أن يعرف القصة.. وهذا مـــا زاد من حيرتى!

لقد سكتنا على الدوام- نحن رجال الثورة- حيال ما يقال عنا, وموقفنا مـــن اللـــواء "نجيب", وفسر المغرضون هذا السكوت بما يتفق ومصالحهم وأشاعوا أن اللواء "نجيب" اختلف معنا, أو اختلفنا نحن معه لأنه ديمقراطى ويعشق الدستور والحريات والشعب.. أما نحن فلا.. نحن نخالفه فيما ذهب إليه, ونحن وقفنا فى طريقه الذى كان سيقود الشعب فيه إلـــى الحريـــة والديمقراطية والدستور!

وطارت الشائعات والأقاويل هنا وهناك, وكل شائعة كانت تؤكد ديمقراطية "نجيـــب" وديكتاتورية مجلس قيادة الثورة, وأعضاء المجلس المذكورة يلـــوذون بالصـــمت ويتركـــون الأقوال تترى والإشاعات تطير إلى حيث تشاء, ولم يحاول مجلس الثورة إذاعة القصة كلها.. ليعرف الشعب الحقيقة الصارخة...!

كنا وحدنا الذين نعرف الحقيقة, أما الشعب فكان لا يعرف سوى الإشاعات!

فهل نقول الحقيقة وأمرنا لله؟!

ومرة ثانية- أو ثالثة لا أدرى- عدت إلى كومة الخطابات أنقل بصرى بين ســـطور بعضها.. إن أصحاب الخطابات يريدون الحقيقة.. يريدون أن يعرفوا... هل "نجيب" اختلـــف معنا لأنه ديمقراطى ويريد الدستور, أم لسبب آخر؟!

إن المسألة لم تعد تحتمل السكوت.. فهى مسألة الشعب وليست مسألة شخصية..

و"نجيب" إن كان على صواب, فالشعب سوف يعرف الحقيقة اليوم أم فى الغـــد.. إن كان قد أخطأ, فالشعب سيعرف أيضا كيف أخطأ سواء قلنا له نحن الحقيقة أو قالها التاريخ فيما بعد.

وبين الرسائل التى أمامى واحدة يصرخ صاحبها, وتكاد صرخاته تقفز من بين سطور الرسالة.. إنه يقول لى:

"قل لى الحقيقة كلها, فمن حقى ومن حق كل مواطن أن يعرفها.. لماذا قلتم لنا إن "محمد نجيب" هو قائد الثورة, ولماذا حملتموه على أكتافكم إلى الوجه البحرى ثم إلى الوجه القبلى, ثم قدمتموه إلى الدنيا كلها شرقها وغربها على أنه قائدكم.. وبعد ذلك تبين أنه كان يتآمر على هذه البلاد, ثم لا يلقى جزاءه.. نريد أن نعرف الحقيقة؟!".

وقد مرت على لحظات بعد أن قرأت تلك الرسالة, وكانت لحظات مليئة بالحيرة والتأمل, ثم قررت أن أروى قصة "محمد نجيب" كلها... قررت أن أرويها لكى نسدل الستار نهائياً على هذا الموضوع.. ثم نستريح ونريح! وأمسكت بالقلم وتوكلت على الله..

من أين أبدأ؟!

هل أبدأ قصة اللواء "نجيب" بتاريخ أزمة 26 فبراير عام 1954 التى قبل فيها مجلس الثورة استقالة "نجيب" ثم لم يلبث أن أعاده؟!

أم أبدأ بيوم 25 مارس وقراراته المشهورة...؟!

إن عشرات من المواقف تتبلور أمامى الآن.. وكل موقف منها يصلح ليكون بداية قصة رهيبة.. لأضخم قصة فى تاريخ هذه الثورة!

هناك مثلا موقف 27 مارس عام 1954.. وكنا يومها قد ذهبنا إلى مطار ألماظه لنودع صاحب الجلالة الملك سعود, وكان الوقت فى الصباح الباكر, وعرجنا على "ميس" ضابط الطيران لتناول طعام الإفطار على مائدتهم, وما كدنا نمسك بأقداح الشاى حتى اقتحم "الميس" خمسة من ضباط الطيران على وجهوهم الحنق الشديد.. وكانوا يلهثون وهم يقولون لنا:

– تعالوا.. الحقوا "نجيب"..؟!

وبداية أخرى لقصة "نجيب".. يوم أن عثرنا على تقرير فى قصر عابدين بين أوراق "حافظ عفيفى", والتقرير مرفوع إلى السدة العلية الملكية قبل الثورة بيومين اثنين فقط... فمن الذى أرسله إلى القصر.. إلى السدة العلية الكريمة؟!

إنه بطل هذه القصة.. اللواء "نجيب"!

إن خيوط القصة تتجمع الآن كلها فى يدى.. هاهو الخيط الأول..

هاهو "جمال عبد الناصر" يذكر لنا اسم "نجيب" لأول مرة قبل قيام الثورة, ولم يكن "نجيب" وحده الذى رشحه "جمال" ليوضع على رأس الثورة, بل كان هناك شخصان آخران رشحا لهذه المهمة مع "نجيب", فلماذا وقع الاختيار على "نجيب"؟!

الأيام الأولى

إننى أرى الآن أمامى وجه "نجيب" وهو جالس معنا فى الأيام الأولى للثورة.. إنه كان وجها طيبا يفيض بالإخلاص الشديد للثورة!

كانت تصرفات "نجيب" تبدو لنا رائعة للغاية فى الأيام الأولى, عندما كنا نعمل جميعاً فى مبنى القيادة بكوبرى القبة, ننام هناك ونأكل ونشرب هناك أيضا.

كان "نجيب" يتوجه إلينا بالحديث بمناسبة وبغير مناسبة قائلاً:

– أنا أشعر بالخجل من نفسى, لأنى أراكم تنسون أنفسكم تماما, وأنا لم أفعل شيئا, لكنكم تنسبون إلى كل شئ, وكل شئ قد تم بمجهودكم أنتم..

وكانت تلك الكلمات التى سمعناها من اللواء نجيب– بمناسبة وبغير مناسبة– كافية لكى تبعث فينا الثقة المطلقة به, مما دفعنى إلى أن أخرج إلى الناس ذات مرة وأخطب فيهم متحدثا عن "نجيب" وزعامة "نجيب"!

بل إن "عبد اللطيف البغدادى" تأثر ذات مرة إلى الحد الذى قال فيه لنا: "إننى أحب هذا الرجل كأبى تماما, وأخشى أن يكون حبى له أكثر.."

فماذا حدث بعد كل هذا ؟.. وبعد أن وقف "عبد الحكيم عامر" فى قريته "اسطال" يبايع نجيب أمام أهله, وبخطاب حماسى رائع كان "عبد الحكيم عامر" خلاله متأثراً إلى حد أنه تشنج!

لقد كنا جميعا نشعر بالحب لذلك الرجل, لأنه كان فى الأيام الأولى لا يترك مناسبة دون أن يبدى فيها خجله منا, ويعبر فيها عن دهشته لأننا ننسى أنفسنا, وننسب كل شئ له, وهو الذى لم يفعل شيئا؟!

إن قصة اللواء "نجيب" مليئة بالأحداث والغرائب..

إنها أعجب قصة فى تاريخ مصر الحديث, إنها الأسطورة الكبرى التى ظهرت على ضفاف النيل فجأة ثم تلاشت أيضا فجأة كضباب الضحى.

إنها قصة الصراع الهائل الخالد بين من يؤمنون بحرية الشعوب ويعملون لتحقيقها وبين الذين لا يؤمنون إلا بأنفسهم, حتى إذا كانت وسيلة ذلك تضليل الجماهير!

إنها قصة الثورة المصرية وكيف تمت وكيف قرر قادتها المضى بها حتى نهاية الشوط رغم كل العقبات..

وهى أيضا قصة الذين كانوا يرهبون كلمة "ثورة" ويحاولون وقفها بأكذوبة الدستور والانتخابات والأحزاب.

وهى نفسها قصة الصراع الخالد المجيد بين جيل ثائر يريد أن يبنى مصر فتصبح دولة عظمى.. وجيل عفن مهزوم عاش فى كنف الخنوع وأصبح لا يعنيه أن يتطور الشعب أو يتحرر, أو تنشق الأرض فتبتلع أفراده جميعاً.

إنها قصة القيادة المؤمنة الباسلة التى تقدمت الصفوف بلا وجل, وخاضت أعنف المعارك وصمدت ثم أثبتت أن الشعب سينتصر على الدوام..!

هى باختصار قصة الثورة الديمقراطية...

وسوف يقرأ الشعب القصة كاملة, فأنا أعدها منذ اليوم.

أعدها من أجل الحائرين الذين رأونا نحمل "نجيب" على أكتافنا إلى قبلى ثم إلى بحرى.. ورأونا ونحن ننكر أنفسنا ونذكره, ورأونا ونحن نصنع منه زعيما, وهو يحفر للثورة قبرا...!

"نجيب" يدخل من أبواب التاريخ

كيف دخل اللواء "نجيب" من أبواب التاريخ؟!

من فتح تلك الأبواب أمامه, وقال له: تفضل.. أنت زعيم؟!

وعلى أى أساس قامت زعامته وقيادته لثورة شعب؟!

لقد هتف الناس والجيش له من الأعماق, وتردد اسمه على أفواه الناس فى مصر وفى كل شبر من العالم لأنه القائد الذى انتصر وحرر بلاده...

لقد كان "نجيب" رمزاً لبطولة أسطورية بهرت العالم كله.

وفى كل بيت فى مصر علقت صورته, صورة البطل الذى ظهر فجأة فى أرض النيل, ليحرر العبيد, ليطعم الجياع ويبرئ المرضى, وينشر العلم والعدل والحق والمساواة...

الجميع قالوا له: أنت الزعيم, أنت بطل: أنت منقذ الشعب... أنت محرر الوادى.

لم يختلف أحد من أفراد الجيش أو الشعب على زعامة "نجيب" وبطولة "نجيب" وقيادة "نجيب", وكان عليه أن يتقدم الصفوف ليحقق آمال البلاد فى قائد ثورتها..

لم يكن ينقصه شئ أو يعطله شئ.. فكل مقومات الزعامة والبطولة والمد والولاء قد وضعت تحت أقدامه, فماذا حدث؟! لماذا لم يتقدم فى الطريق إلى النهاية.. وماذا كان يعطله؟!

لقد أخلينا أمامه الطريق تماما, ووضعناه على رؤوسنا, ثم أنكرنا أن هناك أبطالا غيره.. كان مجرد الإشارة إلى بطل آخر غير "نجيب" جريمة فى رأينا..

كنا نؤمن بأن الذى حدث فى مصر يوم 23 يوليو يجب أن ينسب إلى رجل واحد, رجل يصبح زعيما يقود الشعب فى الطريق الطويل الوعر حتى النصر...

كنا نؤمن بأن كل الذى صنعناه طوال أعوام من نضالنا قبل 23 يوليو هو من أجل هذا الشعب.. من أجل ثورته على أعدائه, وكل ثورة يجب أن يقودها زعيم.

و"نجيب" أصبح الزعيم.. ثم ماذا حدث؟

لماذا انهارت الزعامة.. لماذا اختفت الأسطورة سريعاً كضباب الضحى؟..

هل لأن مجلس الثورة يريد الدكتاتورية, و"نجيب" يريد الديمقراطية؟ ومن أجل هذا عزلناه وأبعدناه عن الطريق؟...

إننى هنا أنشر الحقائق كلها, ليعرف العالم كله شرقه وغربه حكاية اللواء "نجيب".. وليعرف الشعب من هم الثوار, ومن هم الحكام؟..

وقبل أن أبدأ القصة أود أن أسجل هنا خاطرا مر بذهنى وأنا أمسك بالقلم لأبدأ القصة.. تخيلت "جمال" و"عبد الحكيم" و"صلاح" و"بغدادى" وجميع الرفاق فى تنظيم الضباط الأحرار, وقد بطش بهم "نجيب" فى أزمة مارس الماضى, وأصبح الحاكم على البلاد..

فماذا كان سيحدث فى مصر, بعد البطش بالذين صنعوا "نجيب"؟..

هل كان "نجيب" سيطلق الحريات والعدالة والحق.. وباختصار هل كان سيجىء للشعب بالديمقراطية.. وعلى يد من؟..

هذا هو السؤال..

على يد من كان "نجيب" سيحقق أهداف الثورة المصرية؟..

على يديه وحده.. أم كان سيكمل اتصالاته فى مارس المشهور ويجئ بإبراهيم عبد الهادى وبالهضيبى وبالنحاس وبسراج الدين وبكل أقطاب الرجعية المصرية ليحكموا البلاد من جديد؟..

على أية حال, الله وحده الذى كان يعلم ماذا كان سيصنع "نجيب" بالبلاد بعد أن يبطش بنا؟!

والذى كان معروفا أنه كان ينوى تكوين مجلس لرئيس الجمهورية يضم الإخوان والسعديين والوفد والأحرار والدستوريين, ويلغى مجلس الثورة.

الثورة والدستور

قلت: إن الأحزاب لم تفهم معنى الإنذار الذى وجناه إليها بضرورة تطهير نفسها.. وكان مفروضا أن تسرع تلك الأحزاب فتغير من برامجها, ومن أشخاص قادتها ومن معتقدات أفرادها- إذا استطاعت- لكى تبعد عن الأذهان الفكرة السائدة عنها- بالرغم من حسن نوايا الثورة- وهى أن هؤلاء الناس ليسوا سوى تجار سياسة, وأن الشئ الذى يعنيهم سواء أكانت فى مصر ثورة أم أسرة مالكة هو أن يحكموا البلاد.

والواقع أن موقف الثورة من الأحزاب كان خاطئا من البداية.. فهى- أى الثورة- كان حتما عليها, أن تقضى على كل التركة التى خلفها لنا الماضى, والأحزاب بشكلها الموجود كانت شيئا مخالفا لمفهوم الثورة.. وما حدث فى البلاد- من مآس ومن ظلم وغدر واستبداد منذ وجدت فيها تلك الأحزاب- لا تقع مسئوليته على النظام الذى كان قائما, بقدر ما تقع هذه المسئولية على القيادات السياسية التى تولت زمام الأمور بالتتابع فى كنف دستور إقطاعى ملكى يحفظ لهذه القيادات السياسية حقها فى البقاء والحكم والاستبداد بالشعب.

أقول إنه كان مفروضا بعد أن مدت الثورة يدها البيضاء إلى القيادات السياسية الموجودة فى البلاد, أن تفهم تلك القيادات أن ما حدث فى مصر ليس انقلابا سوف يزول بين وقت وآخر, بل الذى حدث هو تطور اجتماعى محتوم يفرض على كل القيادات السياسية- إذا كانت حقا ديمقراطية- أن تؤمن به وتعمل على تحقيقه ببرامج مدروسة تتفق مع الاتجاه الذى سار فيه التطور الاجتماعى المذكور, بل كان مفروضا أن تنظر فى بعض القيادات السياسية فتضع برامج تهدف إلى القفز بركب التطور فى البلاد إلى أبعد مدى, لا إلى تعطيله كما أرادت بعض تلك القيادات.

ويبدو ن رفض الأحزاب الوقوف إلى جانب التطور الاجتماعى كان من صالح البلاد.. فلو كانوا قد فعلوا لظهرت بعد توليهم الحكم حقيقة شعورهم ومدى إيمانهم بالثورة المصرية واتجاهها الإنسانى نحو التحرر والعدالة.

فكل القيادات السياسية التى مارست الحكم والسياسة فى مصر طوال ربع القرن الأخير, كان كل أفرادها من طبقة معينة لا تتفق مصالحها- على الإطلاق- مع مصالح طبقات الشعب الكادحة والمتوسطة التى استمدت الثورة أهدافها الحقيقية من مصالحها.

وبالرغم من تراجع الأحزاب عن خط الثورة المصرية, وبالرغم من رفض قيادات تلك الأحزاب التطهير المطلوب الذى يحتمه معنى الثورة, فإننا ظللنا نؤمن بإمكان التعاون مع الجميع فى نطاق الوضع الثورى الذى وجد بعد 23 يوليو عام 1952, فأردنا أن تكون فى البلاد أحزاب, وأن تجرى انتخابات, وأعددنا قانون الأحزاب فعلا, وكان الهدف الأساسى لذلك القانون هو أن تسجل الأحزاب الجديدة برامجها الجديدة بشرط استبعاد الأشخاص الذين ثبت أنهم أفسدوا فى الحياة السياسية, وهم أكثر من أن نحصيهم هنا...

"النحاس" و "سليمان حافظ"

وبدأ الوفد يناور ويحاور, ثم وقع حادث "صلاح الدين", و"سليمان حافظ" وهو حادث مشهور ولم تكن لنا فيه يد على الإطلاق.

فقد ذهب "محمد صلاح الدين", وزير خارجية الوفد لمقابلة وزير الداخلية فى ذلك الوقت, ليسجل حزب الوفد الجديد هيئته التأسيسية.. وفى مكتب "سليمان حافظ" جلس "صلاح الدين" يتحدث مع الوزير.. وفجأة قال "سليمان حافظ" لصلاح الدين:

– "مصطفى النحاس" ده عبارة عن دمل ولازم يتفقع.

وطلب "سليمان حافظ" ألا يشترك النحاس بصفة فعلية فى إدارة حزب الوفد الجديد.

وهرول "صلاح الدين" إلى "سراج الدين" وأبلغه الحكاية, وذهب "سراج الدين" إلى "النحاس" وروى له ما قاله "سليمان حافظ", ثم بدأت المعركة بين الوفد و "سليمان حافظ".

وكما قلت: لم يكن للثورة دخل فى الموضوع, لكن الحملة التى شنها الوفد على "سليمان حافظ" امتدت إلى الثورة نفسها.. فكيف "أحمد أبو الفتوح" سلسلة مقالات تحت عنوان "إلى أين..." وقد أظهر فيها بطولة خارقة, فبدأ يتكلم عن الثورة بأسلوب عجيب, وأعتبرها انقلابا من انقلابات الأقلية السياسية, وكان ذلك خطأ كبيرا وقع فيه الكثيرون من رجال السياسة والقلم فى البلاد.

وأذكر أننى كنت فى ذلك الوقت مسئولا عن الرقابة على الصحف وسمعت زملائى فى مجلس الثورة يتساءلون:

– هل من المصلحة أن يقال مثل هذا الكلام؟.. إننا لم نقم بما قمنا به لمصلحة حزب معين, بل لمصلحة الشعب كله, فما لنا نحن و"سليمان حافظ" و"أحمد أبو الفتوح" وباقى الناس الذين ليس لهم وضع فى الثورة, والذين إن جد الجد وأحسوا برقابهم تتأرجح فوق أجسادهم– كما حدث لنا ليلة 23 يوليو– لفزعوا وولوا الأدبار...

تجاهل الوضع الثورى...

وسمعت كلاما كثيرا من الزملاء الثوار, وبعضهم قال: إن هذا الكلام فيه تضليل للشعب, لأن "أحمد أبو الفتوح" اعتبر أننا حكام وتجاهل الوضع الثورى.

وقلت يومها لزملائى: دعوه يكتب كيف يشاء.. ودعوه يفرغ كل ما فى رأسه من كلام, ولنر صدى كلامه عند الرأى العام..

وفعلا لم يكن لتلك المقالات صدى معين, لأنها كانت تأخذ نفس الشكل القديم لمقالات الصحف المصرية التى تسيطر عليها الأحزاب.. مدح فى هذا وقدح فى ذلك ولا شئ غير

ذلك.. لا موضوع ولا رأى ولا توجيه ثورى, أو على الأقل يستهدف الصالح العام, لا مصالح حزب الوفد فقط..

كانت مقالات "إلى أين..." كلها مدحا فى "مصطفى النحاس" كأن "مصطفى النحـــاس" هو القضية, وليس الشعب.

وكان الناس لا يزالون يذكرون موقف "النحاس" أثناء توليه الحكم آخـــر مـــرة فـــى القصر.. وفى تحالف حزبه معه إلى أبعد مدى, وتنازل عن شكله الشعبى من أجل أن يبقـــى الحكم.. لهذا كان مدح "النحاس"- آخر حليف سياسى لفاروق والإقطاع- شيئا غير مستســـاغ بالمرة فى وقت رأى الناس فيه صاحب العرش يطرد من البلاد.

واحد وعشرون زعيما

وانتهت زوبعة "إلى أين..." وبدأت إخطارات الأحزاب الجدية تترى وخيل إلينـــا أن مصر سوف تشهد عهدا غريبا يتصارع فيه ألف حزب سياسى من أجل كراسى الحكم...

وأحصينا الرقم الأخير فوجدنا أن هناك واحدا وعشرين زعيما فى مصر, تقـــدم كـــل واحد منهم بإخطار عن حزب جديد, وبينهم زعماء لم يسمع بهم أحـــد.. وكـــأن الأرض قـــد انشقت عنهم فى غفلة من الشعب.

مبادئ من كل لون, وبرامج غير مفهومة وكثير جدا منها متشابهة بل تكـــاد تكـــون نسخة طبق الأصل من بعضها.

وجلسنا نفكر, هل هذا هو ما تريده الثورة المصرية العربية؟..

وهل هؤلاء الزعماء الواحد والعشرون هم الذين سيسيرون بالثورة المصرية العربية إلى نهايتها؟ ومن هم؟!

ما هو ماضيهم؟!.. ما هو كفاحهم؟!

رحلة ملكية لرشاد مهنا

ولم نكن ندرى ماذا يدور فى رأس "رشاد مهنا" بالتحديد, ورأينـــاه يـــدلى بأحاديـــث صحفية وينظم حملة دعاية عجيبة حول شخصه, فيذهب إلى مسجد الســـيدة ليصـــلى الفجـــر "حاضرا" ومعه مصورو الصحف الذين لم يصلوا الفجر "حاضرا" مرة واحدة من قبل!

ولم نبال بهذه التصرفات الغريبة, فقد كنا نتوقع أن يذهب كرسى "العرش" بلب "رشاد مهنا" إلى حد ما.. لكن فوجئنا ذات يوم برشاد وهو يأمر إدارة قصر عابدين بإعداد العدة لقيامه برحلة إلى واحة سيوة, وكانت الأوامر التى أصدرها "رشاد" تطابق تماما الأوامر الملكية التى كانت تصدر فى مثل هذه الأحوال.. سيارات من جميع الماركات والأشكال وحاشية وخدم ومصاريف.. وعندما بلغنا النبأ نظرنا إلى بعضنا وقلنا:

– الله.. إيه الحكاية!

كنا نعرف أن "رشاد مهنا" لا يؤمن بمعنى الثورة ولا يفهمها, لكننا لم نكن نتوقع أبدا أن يعين "رشاد مهنا" نفسه ملكا هكذا ببساطة... وكأن طرد "فاروق" كان حبرا على ورق..

ويبدو أن سراى عابدين ومناظرها والأبهة الشائعة فى حجراتها وكل مكان فيها و "الجو" الملكى الذى يطبع ذلك القصر بوضوح, كل هذا قد ذهب بلب "رشاد مهنا" فطار عقله ونسى أنه ليس من أسرة "محمد على".

ويبدو أيضاً أن سراى عابدين كانت شؤما على كل من حكم البلاد.. وأذكر أن "جمال عبد الناصر" فى أبريل عام 1954 كان يجلس فى مكتب اللواء "نجيب" بعابدين, وقال "جمال" للواء "نجيب":

– أنا حاسس إن القصر ده شؤم على كل من يجلس فيه, فإيه رأيك.. تقعد لك فى مكتب تانى فى مكان آخر, ونخلى القصر ده متحف؟

ورد اللواء "نجيب" على "جمال" قائلا بالنص:

– يا سيدى.. ما شؤم إلا الشؤم.

وسكت "جمال"...

أنا أملك وأحكم

وأعود إلى الموضوع.. إلى "الهيصة" فأقول: إن الأمور تطورت بسرعة بعد حكاية رحلة "رشاد" الملكية إلى سيوة, ففى ذات يوم استدعى "رشاد مهنا" اللواء "نجيب" إلى مكتبه, فى عابدين, وفى حضور "سليمان حافظ" أخذ "رشاد مهنا" يعنفه, وكان "رشاد" وهو يفعل هذا يضرب المكتب بقبضة يده ويقول لنجيب:

– أنا لا أسمح بهذا, ولا أرضى بذلك, ثم صرخ قائلا وبصوت عال جدا:

– أنا مش زى "فاروق".. أنا هنا أملك وأحكم!

وكانت مفاجأة أخرى لنا.. فنحن نعمل ليلا ونهارا من أجل إعداد خطـوات الثـورة العربية المصرية, و"رشاد" فى قصر عابدين يصرخ ويريد أن يملك ويحكم.

ولم يقف طموح "رشاد مهنا" عند حده, وبدأ يصطدم بنا.

حدث أن الملك المخلوع كان قد اغتصب– كالعادة– سيارات تابعـة للجـيش, وبعـد الثورة طلبت إدارة الجيش من سراى عابدين تلك السيارات إلى وحداتها, وفوجئنا بأن "مولانا" "رشاد مهنا" يرفض إعادة تلك السيارات.. وكان هذا الموقف كفيلا بأن يقنعنا تماما بأن الثورة فى خطر وأن البلاد توشك أن ترى ملكا جديدا من أسرة أخرى غير أسرة "محمد على".

يد الثورة تنقذ الموقف

أمام هذا كله عقدت الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار اجتماعا سريعا, أصدرت فيـه قرارا بإقالة "رشاد مهنا" من منصبه كوصى للعرش والاكتفاء بالأمير السابق "محمـد عبـد المنعم" فى مقعد الوصاية إلى أن يبت فى مسألة العرش, وكنا قد أجلنا هذه العملية إلى أن تأتى الفرصة المناسبة.

وخرج "رشاد" من قصر عابدين إلى بيته وذهب إليه "جمال عبد الناصـر" وعـرض عليه فى كرم شديد أن يختار لنفسه أى منصب فى السلك الدبلوماسى لكن "رشاد" رفض.. كان يريد أن يظل ملكا على البلاد.

وبدأ "رشاد" ينشط مستغلا كرم الثورة وعطفها عليه.. فبدأ يتصل بالأحزاب وبالإخوان بصفة خاصة, وكان الوفد يأمل فى ذلك الوقت فى العودة بشكله القديم, ورأى الوفد فى خروج "رشاد مهنا" فرصة ذهبية وظنوا– جميعا– أن وراء رشاد مهنا تكتلات داخل صفوف القوات المسلحة لهذا كبر الأمل فى صدورهم واعتقدوا– جميعا– أن رشاد هو منقذهم من الثورة...

تكتل الإقطاع مع "رشاد مهنا".

وحدث ما كان لابد أن يحدث... ففى كل بلاد الدنيا عندما تقوم ثورة يتكتل أعـداؤها الذين تهدد الثورة مصالحهم فى جبهة واحدة ليقاوموها.. وقد حدث فعلا, أن لاحظنا بوادر هذا

التكتل... الأحزاب والإقطاع و"رشاد"- جميعاً- بدءوا يتحفزون للقضاء على الثورة... وتتابعت الأحداث ورأينا أن حسن نية الثورة قد يقضى عليها, كما رأينا أن عطفنا واستعدادنا للتعاون مع الجميع وإيماننا بكل مصرى مخلص يريد أن يعمل فى نطاق الثورة مهما كان لونه ومعتقداته, كل هذا قد يطيح.. لا بالثورة,- فثورات الشعوب لا يمكن القضاء عليها-... بل قد يطيح بكل ما صنعناه نحن من أحداث تاريخية كان حتما على الثورة أن تجتازها لتبدأ فى صنع مستقبل الشعب.

أحسسنا أن تكتل تجار السياسة مع "رشاد مهنا", ومع الإخوان ومع الإقطاع, قد يعطل من سير الثورة, وهذا ما لم نكن على استعداد للتهاون فيه... وفى مثل هذه الحالات يبدو الأمر مضحكا إذا لم نضرب بيد الثورة الحديدية لا البيضاء المسالمة العطوفة التى مددناها للجميع.

وجاء يناير عام 1953, وكان قد مضى على الثورة ستة أشهر, فوجدنا أنفسنا أمام جبهات تتآمر علينا فى الخفاء وتظهر لنا الود فى العلن... وجدنا أنفسنا أمام أحزاب تريد طعننا فى الخلف, وأفراد ينشطون فى الظلام لحساب الإقطاع, و"رشاد" والرجعية المصرية المتحجرة.. وكنا فى واد وجميع الأحزاب والهيئات فى واد آخر... كنا نريد ثورة ونحمل رقابنا على أكفنا من أجل هذه الثورة المصرية التى بدأت زحفها منذ يوليو... وهم ماذا كانوا يريدون؟!

من يحتاج إلى العدل؟

هل كانوا يريدون الحرية؟!

هل كانوا يريدون العدالة.. فى الريف والحضر؟!

هل تراهم كانوا يريدون الحق والعدل والسلام؟!

وأن كانوا إذن قبل أن نصنع ما صنعنا؟!

ومن هم؟!... هذا هو السؤال...

إن الحق والعدل والسلام آمال تملأ صدور الكادحين والعاملين, وتدفعهم الحاجة إليها دفعا إلى العمل على تحقيقها.. أما أن يطالب إقطاعى بالحرية وبالحق والعدل والسلام.. فهذا أمر يبدو مضحكا... بل ويدعو إلى السخط الشديد.

فهو ليس فى حاجة إلى عدل ولا ألى حق ولا إلى سلام... هو يحتكر كل هذه الحقوق ويسلبها من البشر.. إذن فالذين تكتلوا ضد الثورة مع "رشاد مهنا" لم يكن هدفهم عودة الحياة الديمقراطية المزعومة, ولا عودة الحق والعدل والسلام.. فتلك أشياء لم يكن لها وجود قبل الثورة للشعب- جميعاً- ويجب على الثورة سحقهم بلا رحمة... بل وسحق الذين يقفون إلى جوارهم فى انتظار الجريمة... ولكن الجريمة لم تقع... فقد امتدت يد الثورة الحديدية وقبرت الجريمة فى مهدها, فانتهى الأمر بمحاكمة "رشاد مهنا", وإلغاء الأحزاب... وتحديد فترة انتقال تبدأ من يناير عام 1953 وتنتهى فى يناير عام 1956...

أسقطنا الدستور الإقطاعى

ضربت الثورة- كما قلت- بقبضتها الحديدية فألغت الأحزاب وحددت فترة انتقال, وذلك عندما ظل عليها خطر التكتل الذى تم بين "رشاد مهنا" والإقطاع, والإخوان والأحزاب.. وكان حتما على الثورة أن تضرب هؤلاء الأعداء منذ اللحظة الأولى التى خرج فيها كبيرهم "فاروق" من البلاد... فالقيادات السياسية التى كانت فى مصر قبل يوليو لم تكن تريد- ثورة- كما ذكرت, بل كان هدفها دوما هو الحكم والسيطرة على الشعب, لصالح القصر والنظام الذى كان قائما. هذا من ناحية, ومن ناحية أخرى... فالثورة- أى ثورة- لا يعقل أبداً أن يتولى توجيهها نحو أهدافها العديدة جماعة من السياسيين لم يشتركوا- على الإطلاق- فى قيامها أو فى التمهيد لها... بل على العكس كانت الثورة المصرية- التى تهدف إلى تحرير الشعب من القوات المحتلة والنظام الملكى, وتصنيع المجتمع الإقطاعى المهلهل- لا تجد فى واحد من رجال الأحزاب عونا لها قبل أن تقوم, فكيف يمكن لهذه الثورة أن تجد العون فى هؤلاء السياسيين بعد أن قامت فعلا وبعد أن بدأت تزحف على أعداء الشعب؟

هل كانت الثورة الروسية أو الصينية تنجح لو أن رجالها لجأوا إلى السياسيين القدامى وعهدوا إليهم بتوجيه الثورة. وما هو دور الذين صنعوا الثورة نفسها؟! يترهبون ويطلقون لحاهم, أو ماذا يصنعون؟...

كنا- إذن- على حق عندما ضربنا بيد الثورة الحديدية وقبرنا الجريمة فى مهدها, قبل أن تتم على أيدى رجال الأحزاب, و"رشاد مهنا" وباشوات البلاد... ومشعوذيها!

إن إلغاء الأحزاب المصرية بعد يوليو عام 1952, كان عملا ثوريا ينبغ من أصول الثورة المصرية.. ومن اتجاهها الإنسانى الشعبى.

فلم يحدث فى تاريخ الثورات أن قام جماعة من الناس بثورة على الطغيان والاستبداد والاستعمار والإقطاع... ثم تركوا- الثورة- وهى لم تزل وليدة لم تقف بعد على قدميها للرجعيين والإقطاعيين والمشعوذين ليحفروا لها قبرا.. هذا هو الوضع الجديد بالتحديد بالنسبة لثورتنا عندما قررت إلغاء الأحزاب, وتحديد فترة انتقال وإسقاط الدستور...

نحن نحمى الدستور

لقد قلنا بعد أن طردنا زعيم العصابات السياسية فى مصر- الملك السابق "فاروق"- إننا نحمى الدستور.. وكن فعلا نعنى ما نقول, لكن الأحزاب المصرية وليدة النظام الملكى الإقطاعى ترجمت هذا الشعار بما يتفق ومصالحها, فطالبت بالحكم وبإجراء انتخابات... أى بدفن الثورة المصرية فى أعماق الأرض, ليبقوا هم سادة للعباد والشعب- حيث- هو فى الحضيض يمرض ويجوع ويموت... هذا شئ لا يعنيهم, فسراج الدين وغيره من قادة "الشعب" فى عهد "فاروق" يريد أن يحكم... ويحكم, أما العدالة والحرية والنور فهو وغيره من القادة الكبار ليسوا فى حاجة إلى شئ منها, فالعدالة الحرية والنور أشياء موجودة فى حياته هو... فى قصره وفى مكتبه وحيث يكون, إنه يملك كل شئ وليس فى حاجة إلى شئ... فقط هو يريد أن يحكم العباد, فإذا لم يستطع فالأمر إذن ديكتاتورية وفاشية وحكومة ضباط وعساكر... وكان علينا ونحن نعد خططنا للزحف الأبيض على أعداء الشعب, أن نتردد ألف مرة قبل أن نضرب بيد الثورة الحديدية, فكما قلت من قبل كنا لا نريد أن نخوض معارك دموية ما دامت الثورة تستطيع استرداد الأرض من الإقطاعى بالحسنى, حتى إذا لم يخضع لمشيئة الثورة, كنا فى حل من استعمل القوة: ذلك كان قانون الثورة... وكل ثورة سواء أكانت فى مصر أم فى آخر الدنيا...

وأعود إلى الدستور... كنا نعنى- كما قلت- أن الثورة تحمى الدستور, والدستور الذى وضع للبلاد فى أبريل عام 1923 يتكون من 170 مادة وتنص المادة الأولى منه على أن "مصر دولة مستقلة ذات سيادة, وهى حرة مستقلة وملكها لا يتجزأ ولا ينزل عن شئ منه, وحكومتها ملكية وراثية وشكلها نيابى".

ذلك هو نص المادة الأولى من ذلك الدستور, وكما قلت كانت الثورة تحسن الظن بجميع المواطنين, وتريد أن يتعاون معه كل الناس وعندما مدت الثورة يدها للأحزاب ثم طالبت تلك الأحزاب بأن تثور أيضاً مثلما ثار تنظيم الضباط الأحرار تبين للثورة خطؤها,

وكادت جريمة القضاء على الثورة تقع فعلاً.. لولا أن ضربت- كما قلت- بيدها الحديدية, فلم تتم الجريمة.. وانتهى الأمر بحل الأحزاب ومحاكمة "رشاد مهنا"... وكذلك بإسقاط الدستور.

كنا نريد أن نتعاون إذن مع الجميع فى نطاق الوضع الموجود, ثم بعد ذلك يشترك معنا الجميع فى إعداد خطوات الثورة, بنفس حماسنا وبنفس فهمنا للثورات... وبنفس رغبتنا فى تحرير هذا الشعب من كل قيوده... وعندما تراجع رجال الأحزاب وفضوا أن يثوروا مثلنا, رأينا أن نعيد النظر فى خططنا.. رأينا أن نعتمد على أنفسنا, وعرفنا فى الحال أن الثورة لا يمكن على الإطلاق أن تنجح بغير رجالها, هم وحدهم الذين يمكنهم حمايتها والذود عنها, وقطع الطريق على المتآمرين والمتربصين وأعداء التطور.

لا ثورة بلا ثوار...

كان ذلك هو شعارنا بعد أن اكتشفنا مدى الخطأ الذى وقعنا فيه, عندما مددنا أيدينا للجميع وطالبنا الجميع بأن يثوروا, فأرادوا أن يحكموا ثم رأينا أن الدستور الذى يأخذ علينا أعداء الثورة إسقاطه... يحمى النظام الملكى كما ذكرت, ويحمى مالك الأرض وسيد العباد... وتناقشنا فترة ليست قصيرة, حول تعديل المواد التى تتعارض مع خطوات الثورة الأولى.. القضاء على تاج "محمد على", وعلى تيجان باشوات مصر فى الريف...

اللواء "نجيب" يعارض

لكن بعد أن درسنا المسألة برمتها وجدنا- وقد قررنا العمل بمفردنا كثوار لا كحكام- أن بقاء دستور 1923 ليس فى مضمون الثورة على الإطلاق.. فهى ثورة اجتماعية قبل كل شئ... ثورة تستهدف تغيير الوضع الاقتصادى وهذا أمر يتنافى مع الدستور, وكذلك طرد الملك وإسقاط النظام القائم أمر لا يجيزه الدستور أيضاً, فكيف إذن نبقى عليه؟ ومواده الباقية تحمى الأحزاب ورجالها: الذين هم أعداء للثورة والذين بدءوا يتآمرون عليها؟!

وكان لابد للثورة المصرية بعد يوليو أن تسقط الدستور, ثم بعد ذلك تضع الثورة دستوراً ينبع من حاجات الشعب لا من مصالح الحكام أو الطبقات المسيطرة على الاقتصاد وكل شئ... فقد كان من أسس ثورتنا القضاء على سيطرة رأس المال وعلى جهاز الحكم, وأعلن عن هذا المبدأ فى منشورات الضباط الأحرار قبل الثورة بزمن طويل, ثم أعلنه مرة ثانية الرئيس "جمال عبد الناصر" ضمن مبادئ الثورة الستة... فكيف كان إذن يمكننا الإبقاء

على الدستور, وكثيرا جداً من مواده يتعارض مع أهداف الثورة المصرية النابعة من مصالح الطبقات الكادحة والعاملة والمتوسطة؟!

وقد كان اللواء "نجيب" يعارض فى أسقاط الدستور مثل باقى الأحزاب والهيئات التى كانت تريد الحكم ولا تريد أبدا أية ثورة, ثم ما لبث نجيب أن وافق على رأينا.. تماماً مثلما حدث عندما قررنا إلغاء النظام الملكى, فقد عارض اللواء "نجيب" فى هذا أيضاً ثم خرجت وعقدت مؤتمراً صحفياً فى خيمة الحرس أمام المنزل وأذعت من هناك البيان.

تلك كانت قصة إسقاط الدستور... ففى مصر ثورة ولها أهداف اقتصادية واجتماعية وسياسية يقف الدستور كجدار عال أمامها.. وهنا أيضا- تمتد يد الثورة لتهدم الجدار... ولتعد دستورا ينبع من فلسفتها, دستوراً يحمى الشعب فى عصر ما بعد الثورة, ويحفظ للشعب كل كسب يحصل عليه من أعدائه... وقد كان دستور 1923 يحمى مكاسب أعداء الشعب فقط!

مقاييس اليوم ومقاييس الأمس

أعتقد أن المصلحة العامة, تقضى بوضع النقط على الحروف, ليدرك الذين تلتبس عليهم بعض المسائل, وتختلط عليهم بعض الأمور أن المقاييس التى اعتادها الناس فى العهود الماضية, لم تعد تصلح لهذا العهد, ولم تعد متفقة مع السرعة التى دارت بها عجلة الزمان.

إن مصر اليوم, ومنذ أكثر من ست سنوات تعيش فى ثورة, والثورة التى انبثقت من أعماق الشعب المصرى وعبرت عن إرادته, لم تكن ثورة على جانب من الفساد دون آخر, ولم تكن ثورة على فرد دون سواه, وإنما هى ثورة شاملة على كل عنصر من عناصر الفساد... أيا كان... وأينما كان...

وقد اضطلع بقيادة هذه الثورة لفيف من أبناء مصر, عاشوا سنوات عديدة قبل الثورة وبعدها, ومجتمعين تحت راية المبادئ السامية التى أعلنوا عنها منذ 23 يوليو سنة 1952, ومازالوا يلتفون حولها ويضعونها موضع التنفيذ فى عزم وتصميم وإيمان, وقد تبينت متانة الرابطة التى جمعت بين هؤلاء الثوار حينما دقت الساعة وحانت اللحظة الحاسمة التى تعرضوا فيها للمحنة الفاصلة بين النجاح الفشل, أو بعبارة أخرى بين انتصار المبادئ وأعواد المشانق, فكانت وقفتهم المجيدة صف واحدا, وكتلة متراصة هى حجر الزاوية فيما حققوا لبلادهم من عزة ومجد.

لقد اجتمعوا إذن على مبادئ لا علاقة لها بالأشخاص, ولا صلة لها بالرابطة التى كانت تجمع الأحزاب المنحلة البائدة, رابطة الغنائم والأسلاب.

ومثل هذه الرابطة, رابطة المبادئ المجردة من المطامع والأسلاب لا يسهل ولا يمن أن تنفصم, وليس من الميسور- ولا من الممكن- أن تنقطع أواصر العلاقات الشخصية التى تقوم على هذه الرابطة النبيلة, مهما يحدث من خلاف أو تعارض بين وجهات النظر, وذلك لأن جوهر الخلاف لا يتعلق بنزاع على مغنم, أو تهافت على منصب.

قد يحث- بل لابد أن يحدث بين أفراد أية جماعات من الناس- تباين فى زوايا النظر إلى مسألة معينة أو أكثر, ولكن هذا التباين بين أفراد وحدت بينهم المبادئ السامية لا يمكن أن يفض ما بينهم من رباط مقدس, فهذا الرباط هو الجوهر النقى الطاهر الذى لا تنفصم عروته, وأما الخلاف, وتباين وجهات النظر فهو عرض لا يمكن أن ينال من روعة الجوهر.

على ضوء هذا التحليل الواقعى الواضح, يجب أن يطبق الناس مقاييس جديدة فى الحكم على تطور الحوادث فى عهد الثورة, وقد انتهى الزمن الذى كانت فيه الاعتبارات الشخصية, والمنافسات الحزبية هى المقياس أو المفتاح الذى يفسر مظاهر الوحدة والخلاف بين المسئولين عن مصائر البلاد.

إن كل فرد فى هذا العهد الثائر لا يشغل نفسه ولا يشغل الرأى العام بالمكان الذى يحتله, والمغنم الذى يكسبه, والصف الذى يوضع فيه, وإنما يقف وقفة الجندى الذى يؤمن واجبه أيا كان مكانه بين الجنود العاملين.

وهذا مقياس آخر لم يكن له وجود فيما مضى من عهود الحكم, ولكنه أحد المقاييس التى لا يصلح سواها للحكم على الأشياء والأحداث فى هذه الأيام.

الـــفـــهـــرس الـصـفحة

مقدمة: بقلم أنور السادات

الفصل الأول: ما هى السياسة وما هى الديمقراطية

الفصل الثانى: الثورة والديمقراطية

الفصل الثالث: الضباط الأحرار

الفصل الرابع: خطة الثورة

الفصل الخامس: أحداث الليلة الأولى

الفصل السادس: كيف نجحت الثورة

الفصل السابع: طرد الملك فاروق

الفصل الثامن: الثورة وزعماء الأحزاب

الفصل التاسع: تحديد الملكية

الفصل العاشر: محمد نجيب والثورة

www.anwarsadat.org